المحور الثامن: اقتراب النخبة

من أهم موضوعات علم الاجتماع السياسي نظرية النخبة السياسية التي يذهب أنصارها إلى أنها حقيقة موضوعية لأن الشواهد التاريخية وواقع المجتمعات السابقة والمعاصرة، تتميز بوجود أقلية حاكمة محتكرة لأهم المناصب السياسية والاجتماعية وبيدها مقاليد الأمور، وأغلبية محكومة منقادة وليس لها صلة بصنع القرار السياسي بشكل عام.

وقد حظيت دراسة النخبة بأهتمام بالغ فى السنوات الأخيرة فى أبحاث العلوم السياسية والإجتماعية، إذ تعتبر نظرية النخبة واحدة من نظريات المرحلة الانتقالية فى تطور السياسة المقارنة بين التقليدية والسلوكية، حافظت على حيويتها المنهجية واقتدارها التحليلي طوال المرحلة السلوكية وما بعدها وذلك لما تتميز به من قدرة على فهم النظم العلمية وتحليلها، وتعود الأصول التاريخية لهذا الاقتراب على وجه التحديد إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وذلك عند بداية الاهتمام بدراسة النخبة كجزء من حقل العلوم السياسية، و يرجع الفضل فى ذلك إلى عالمين إيطاليين هما فلفريدو باريتو (1848-1923) وجاتيانو موسكا (1858- 1923).

ومن هذا المنطلق سوف يتم الإشارة لاقتراب النخبة لتحديد معطياته وإمكاناته المنهجية التي يمكن أن تسهم في فهم وتفسير الظاهرة السياسية وذلك من خلال الخطوات التالية:

1- تحديد المقصود بالنخبة:

إن لكلمة نخبة في اللغة العربية من أصل الفعل ينخب، نخباً، فهو ناخب الشئ أي أخذ أحسنه, ونخب جمع نخبة أى المختار من كل شئ، ويشير مصطلح Elite فى اللغة الانجليزية إلى جماعة أو جزء منها أختير أو نظر إليه على أنه الأفضل والأكثر نفوذا وقدرة, وتعرف بأنها الفئة القائمة على صنع السياسة وتنفيذها وتلك القادرة على التأثير والمشاركة.

وتُعرّف النخبة بشكل عام: "بأنها مجموعة أو فئة قليلة من الناس يحتلون مركزا سياسياً واجتماعياً مرموقاً"، كما يطلق التعبير على "مجموعة تفوقت أو اكتسبت شهرة فى مجال معين، وتجمع هذه الفئة أعظم الكفاءات في مجال تخصصها"، ويعرفها الدكتور على الدين هلال علي: "أنها هي تلك الأقلية التى تتمايز عن باقي أفراد المجتمع من حيث نفوذها وتأثيرها".

ويعرفها روبرت داهيل: "هم مجموعة من الأفراد يشكلون أقلية وتسود تفضيلاتهم عند حدوث اختلاف التفضيلات المتعلقة بالقضايا الأساسية في المجتمع".

2- تعريف النخبة السياسية:

النخبة السياسية هى طبقة قمة القوة وبالطبع فأنها لا تتضمن كل أعضاء الجسد السياسي مالم يكونوا جميعا يشاركون بنفس القدرة على قدم المساواة فى عملية صنع القرار وأن مدى المشاركة فى القوة يجب أن يتحدد فى كل موقف على حده حيث لا يوجد نمط من القوة العاملة الشاملة.

وعرفها كمال المنوفي: "هي مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون مصادر وأدوات قوة السياسة في المجتمع بحيث تستطيع التحكم في رسم السياسة العامة وصنع القرارات الرئيسية في المجتمع".

وتأتي النخبة السياسية كمفهوم حاول المختصون من خلاله تسليط الضوء على جماعة بشرية معينة تعيش في إطار النظام السياسي و تمارس نمطاً من أنماط العلاقة السلطوية بين الحاكم والمحكوم، إذا أن الحاكم الفرد (عملياً) وعبر مر التاريخ لا يستطيع ممارسة السلطة بمفرده دون وجود مجموعة من الأفراد يشاركونه بنسب متفاوتة في ممارسته للسلطة على باقي مكونات الدولة التي يحكمها، وقد اصطلح المختصون لذلك تسمية (النخبة السياسية).

أدى ذلك إلى أن تشارك هذه النخبة بفاعلية أكثر من غيرها من طبقات المجتمع في رسم الحراك السياسي داخل الدولة و مجتمعها السياسي بمختلف الاتجاهات سلباً أو إيجاباً انطلاقا مما تمتلكه من مميزات مقارنة بغيرها من طبقات المجتمع ومن جملة هذا الحراك عملية التنمية السياسية التي تشهدها بعض المجتمعات النامية في أنظمتها السياسية إن تبرير وجود النخبة يستند على أمرين أساسيين هما:

- إن المجتمعات لا يمكن لها أن تُقاد وتحكم من خلال شخص واحد، فمهما بلغت إمكانات هذا الشخص فانه سيبقى عاجزاً عن السيطرة داخل مجتمعه دون وجود طبقة تعمل على فرض احترام أوامره وتنفيذها.
- إن الجماهير غير قادرة على حكم نفسها بنفسها لأنها أغلبية، فهي تبقى عاجزة عن تنظيم نفسها والتحكم بدرجة تماسك تؤهلها لحكم نفسها، الأمر الذي لا يوجد في الأقلية التي تستطيع بتلاحمها وتنظيمها قيادة الأغلبية وذلك لكونها تتمتع بصفة الأقلية التي تسهل تنظيمها إضافة إلى تمتعها بمييزات السلطة والقوة والنفوذ، ويكون وجود النخبة مظهراً تشترك فيه كافة النظم السياسية.

3- محددات تحديد النخبة:

- الخلفية الاجتماعية سواء الطبقة أو العرقية أو الدينية أو الإقليمية أو التعليمية أو المهنية... الخ.
- السلوك الاجتماعية السياسي والقيم التي يتبنوها ابتداء من القيم السياسية حتى الملابس.
- مَنظُورُهُم لأنفسهم للعالم من حولهم واتجاهاتهم نحو الأحداث، وهنا يتم الاعتماد على تحليل مضمون خطاباتهم وكتاباتهم.
- الخصائص الشخصية لأفراد النخبة من خلال تحليل السلوك الفردي.

4- مقولات اقتراب النخبة: يستند هذا الاقتراب على مجموعة من المسلمات تتمثل في:

- أن كل المجتمعات تنتظم حول قيم معينة منها الثروة أو القوة أو الهيبة أو المكانة وإن كانت تختلف من مجتمع لآخر كما أن توزيع القيم يختلف من مجتمع لآخر.
- كل النظم السياسية تنقسم إلى شريحتين حاكمين ومحكومين حيث أن النخبة أكثر أهمية حيث أنه من خلال تحليلها يمكن فهم النظام السياسي.
- كل مجتمع به مجموعة محددة من النخب وليس نخبة واحدة.
- النخب السياسية متماسكة ولديها هوية مشتركة.
- النخب السياسية مستقلة.

5- مسالك تحديد النخب: هناك أربعة مسالك رئيسية لتحديد النخبة السياسية والتعرف عليها هي:

- الملاحظة التاريخية: وهو أقدمها حيث استخدمه كل من باريتو وموسكا، ويعتمد على مهارة الباحث والمصادر التي يستطيع الوصول إليها لتحديد من يمكن أن يندرج في إطار النخبة

- المنصب الرسمي: ويتم من خلال تحديد عدد من المناصب الرئيسية في المجتمع التي يعتبر من يشغلها ضمن أعضاء النخبة.
- السُّمعَة: على أساس أن من يُشتَهَر عنهم لدى العامة أنهم أعضاء في النخبة فهم كذلك.
- صُنع القرار: على اعتبار أن كل من يشارك في صنع القرار السياسي هم أعضاء النخبة، المشاركة في صنع القرارات الرئيسية فى المجتمع ما هو إلا دليل على إمتلاك القوة السياسية فى ذلك المجتمع